**وحانَ وقتُ الصّلاة**

**قِصة : نكتل يوسف محسن**

بينما كان والدي يوسف محسن الجماس يقضي أيامَ خِدمَتِه في الجَيش الاحتِياطي إبَّان الحَربِ على الرَّغم من كَونه موظَّفاً في إحدَى الدّوائِر المدنيّة ، ولكنَّ ظروفَ الحَربِ جَعلَتْ من عَسكَرةِ الشعبِ أمراً واقِعيًّا ؛ أذهبَ حياتَهم المدنيّةَ أدراجَ الرياحِ إلى غَير رجعةٍ ، وكَما هي مُتطلّباتُ الحَرب في الجَبهات القَريبَةِ المُتاخِمة ، اسْتَتَرَ والدِي بمَوضعهِ التُّرابي الّذي أقامَهُ بالتّعاوُنِ مع زَميلهِ خالدٍ الّذي كان يُقاسِمُه أكلَهُ وشُربَهُ وهُمومَهُ ودِفاعَهُ عن نَفسهِ وعن بَلَدهِ في ثَغْرِ كَردَمَنْد شمالِ البِلاد وهو واحد من أصْعَبِ نِقاطِ التَّماسِ مع الجَانِب المُعادي ، إذْ كانَت المِنطَقةُ الجَبَليّةُ تُحيط بها من ثَلاثِ جِهاتٍ يُسيطر عليها العدُوِّ الذين أرتكز في الجِبال العالِيةِ ويَتَصَيَّد الجُنودَ أثناءَ حالاتِ الغَفلةِ .

كانَ والدي (رَحِمهُ اللهُ) مُلْتَزِمًا بالصَّلاةِ مَسكونًا بِها في الظُروف الاعتيادِيّةِ، فكيفَ في حالَةِ اشتِدادِ المَعارِك الّذي يَجعَلُ الالتِزامَ أقوَى والإحساسَ أعمَق ، فالخَطَرُ يُحيطُ بهِ من كُل مَكانٍ يَعقِدُ لِوائَهُ عِندَه حتى يَكادُ يَراهُ ويُحِسُّ بوُجودِه ويَتلَمَّسُ حَركاتِه ويَشُمُّ رائِحتَهُ  .

بِالْقرْبِ من المَوضِعِ وعلى مسافَةٍ تُقدَّرُ بحوالي [800](tel:800) متر كانَت هُنالِك عينُ ماءٍ طبيعيةٍ يتزوَّدُ الناسُ بِما يَحتاجونَه من ماءِ الشُّرب والاغتِسالِ ؛ لِعدمِ وُجود ماءِ إسالَةٍ في تلك البُقعةِ النائِية من البَلَدِ وبِتلك الظُّروفِ الاسْتِثنائِيّةِ كان هذا أمراً مُتوَقَّعاً ومَفروضاً ، لقد كان الماءُ عَذْباً جداً وذا بُرودَةٍ تَدفَعُ باتّجاهِ تَذَوُقِه والإكثارِ منهُ ، لِذا فَهو  يُعَدُّ مَكسَباً كَبيراً لِـمَن يُجاورِهُ، ولكنَّهُ وبِسَبَبِ الحَرب الجاريةِ كان يَعني الموتَ بِعَينِهِ ؛ لأنّ القنّاصةَ كانوا دائِبينَ على استِهداف الطَرَفِ المُعادي لهُم، وكان والدي (رَحِمهُ اللهُ) ومَن مَعه يَعرفون هذا جيداً ولكنْ لا مَناصَ من الذِّهابِ إلى العَينِ ، ولهذا أمْسَتْ عينُ الماءِ وَجهين لِعُملَةٍ واحدةٍ تَقرُبُ من بَعضِها وتبعُدَ لِتُمَثِّلَ : الموتَ والحَياةَ في آنٍ واحِدٍ.

اِسْتمرَّتْ الأحوالُ بهذهِ الشّاكِلَةِ وزادَتْ المعاركُ ضراوةً وحِدَّةً وفُقِدَ خَلقٌ كَثيرٌ مِن الجانِبَينِ ، وأصبَحَتْ الحياةُ أكثرَ صُعوبَةٍ وكذلك الموتُ، فَقَدْ كانَ الجُنودُ يُفَضِّلونَ الموتَ على انتظاره ،  ولكنّهُ لا يأتي إلّا في مَوعدِه الـمُحدَّدِ لا في مَوعِدِنا قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ .

 في اليوم السابع من أيلول سنة (١٩٨٦م) وبينَما هُم على هذا الحالِ نَفَدَ الماءُ عِندَ الجُنودِ وانقَطَعَ الاتّصالُ بالقِيادَةِ بِسَبَبِ ضَراوَةِ المَعاركِ وتَأثُّرِ الأسْلاكِ الموصِلَةِ بِهم ، وكان على الجنود الاعتِمادُ على أنفُسِهم في تأمينِ الماءِ والطّعامِ ، ولكنْ كيفَ؟ ، والماءُ محروسٌ من الطَرَفِ الآخَرِ وقَدْ يَفقُدُ الإنسانُ حياتَهُ بِسَبَبِهِ ، وهو ما لا مَناصَ مِنهُ ، وهذا يعني : أنَّ في الحياةِ الموتَ ، وفي الموتِ الحياةَ ، وهي واحدةٌ من أكثَرِ حالاتِ الحياةِ غرابةً وسُخريّةً.

         صَمَدَ المُقاتِلونَ مُنذُ ساعاتِ الفجرِ الأولى حتى وقتِ الظهيرةِ واقْتاتُوا على قَطَراتِ الماءِ وكِسَرِ الطَّعامِ حتى نَفدَتْ ولا بارِقَةَ أمَلٍ تُوحِي بالفَرَجِ وبَينَما هُم على هذه الحالِ حانَ وقتُ الأذانِ لِيُنِّبّئَ بِدُخولِ وَقتِ صلاةِ الظُّهرِ وسَمعُ صوتِه الجميلِ يُدَغدِغُ مَشاعِرَ الوالِدِ ويدعوهُ لأدائِها ولكنْ كيفَ؟ والطريقُ محفوفةٌ بالمَخاطِر  وأحتمالية الموت فيها كبيرة ، ومعَ هذا قرّر والِدي (رَحِمهُ اللهُ) المجازفةَ ؛ لأنَّهُ لا تَغييرًا قريبًا مُرتَقَبًا في الأحوالِ ومُرورُ الوَقتِ ليسَ بِمَصلَحَتِهِم.

لقد حاول زميلهُ ثَنْيَهُ عن الذَّهاب إلى العَينِ ولكنْ لا مَناصَ ، فالحاجةُ تتطلّبُ أن يَذهبَ ، وقَدْ بَرَّرَ لهُم والدي (رَحِمهُ اللهُ) قائلاً :" لِكُلِّ إنسانِ أجلُه المَحتوم الّذي لا يَتزَحزَحُ عنهُ وقد حانَ وقتُ الصلاةِ وعَن نَفسي أُحِبُّ أنْ أموتَ وأنا في نِيَّةِ صلاة ، خَيرٌ لِي مِن المَوتِ وأنا مُقَصِّرٌ فِيها" .

في تلك الأجواء المُلتهبة وهو يفكر بالصلاة التي تصله بالله ويفضل قطعُ مسيرتهُ الحياتية عبر الموت على قطع صلتهُ مع الله سبحانه وتعالى ، وتجد البعض منا في آمان وعافية وليس لديه ما يشغله وهو لا يصلي، فشتّان بين المثلين.

أخذَ إناءَ الماءِ وتوكّلَ على اللهِ وذَهَبَ لِلوُضوءِ والاغتِسالِ ومَلَأَ إناءَ الماءِ للشُّربِ بِسُرعَةٍ شَديدةٍ لم يُعطِ أعدائَه فُرصَةً في أن يُصيبوا منهُ غُرّةً ، عادَ فَرِحاً لِلمَوضِع وفي جَوفِه نيّةُ الصَّلاةِ ، طَلَبَ مِن زَميلِهِ خالدٍ المُصحَفَ الشَّريفَ فأعطاهُ ما طَلَبَ ، كَبَّرَ لِلصَّلاةِ ومع أوَّلِ تَكبيرةٍ كان قَنّاصُّ العَدُوِّ يَتَرَصَّدُ بهِ الدّوائِرَ حتى أنهَى صَلاتَهُ فَرِحاً ، وبَيَنَما يَسْعَى لِتأمينِ ما يأكُلُهُ  سَدَّدَ إليه العَدُوُّ إصابةً نافِذَةً وَقَعَ على إثْرِها والقُرآنَ بِيَدِهِ لَم يُفلِتْهُ سَالَ دمُه بِغزارَةٍ حاولَ خالدٌ إسعافَهُ مِن دونِ فائدةٍ احتَضَنَهُ وعيونُهُ تهمِلُ على جَسَدِ الوالِدِ (رَحِمهُ اللهُ) فامْتزَجَ الدَّمْعُ بالدَّمِ والتضحيةُ بالوفاءِ بالحُزْنِ لِتَعْزِفَ مَقطوعَةً غايةً في الحُزْنِ و الألَمِ لِيَتْرُكَ زوجَةً و وَلَدًا وأربعَ بَناتٍ وكانَ لهُم مَوعِدًا مع أقدار ِالحَياةِ.